الكتابة الخطية العربية

للأستاذ حسن عبد الجواد

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الأنسان مالم يعلم . »

ويقول إمام أهل الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ « ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر . . . (١)

ويقول القلقشندى (يروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى ! قال فما قيده ؟ قال الكتابة) (٢)

وجاء الشىء الكثير ، غيرهذا ، عن فضل الكتابة ، فى القرآن الكريم وفى أقوال الحكماء والأدباء (٣)

والكتابة الخطية التى نكتب عنها هنا غير الكتابة الأنشائية والفرق أن الأولى هى النقوش المسماة بالخط والثانية هى إنشاء الكتب والرسائل (٤)

ويقول القلقشندى فى ذلك (فأذا أردت أيقافك أحدا على ما فى ذهنك من المعانى تكلمت بألفاظ وضعت لها ، و إذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الأيقاف إلى أحد بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ ، فيطالع تلك النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ ومن الألفاظ تلك المعانى) وهو يقصد

---

(١) المحاسن والأضداد ص ٣ (٢) صبح الأعشى ج ٣ طبعة سنة ١٣٣٢هـ ص ٥ (٣) راجع أدب الكتاب لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى ص ٢١ — ٢٨ وصبح الأعشى ج ٣ ص ٥ و ٦ و ٧ ، ، وكتاب المحاسن والأضداد ص ٣ و ٤ و ٥

(٤) الوسيط ص ٣٤ و ٣٧ الطبعة السادسة

من النقوش التى وضعت للألفاظ والتى منها يطالع المعنى مانسميه الكتابة الخطية (١)

وقد اختلف الرواة اختلافا كبيرا فى أول من وضع الخطوط . كما اختلفوا فى أول ماوضع من تلك الخطوط . ولبيان النقطة الأولى ندلى بالآراء التى قيلت بصددها : —

(١) . يقول هاشم الكلبي وضعها قوم من العرب العاربة هم أبو جاد وهواز وكلمون . . الخ ولذلك وضعوها على أسمائهم وسموا ماخرج عنها الروادف (٢)

(٢) . وقال آخرون إن آدم عليه السلام هو الذى وضع الخطوط قبل موته بثلاثمائة سنة (٣) وفسر هذا القول صاحب صبح الأعشى بأن آدم عليه السلام كتب الكتب فى طين وطبخه فلما أظل الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم (صبح الأعشى ص ١٠ ج ٣)

(٣) . وقال ابن عباس أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال سكنوا الأنبار ينتسبون إلى قبيلة بولان وهم مرامر وأسلم وعامر إذ وضع الأول الصور والثانى وصل وفصل والثالث وضع الأعجام (٤)

(٤) . وقيل إن واضعها هو إدريس عليه السلام

(٥) . وقيل إن آدم لم يضعها وإنما أنزلت عليه (وهذا وجيه) ولعل الذين قالوا به قد نقلوه عن أبى ذر الغفارى إذ قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كل نبى مرسل بم يرسل ؟ — قال بكتاب منزل — قلت يارسول الله أى كتاب أنزل على آدم ؟ — قال ا ب ت ث ج إلى آخره (٥)

وقال بعضهم إنها أنزلت على هود عليه السلام ويقول صاحب صبح

---

(١) صبح الأعشى ص ٩ ج ٣ طبعة دار الكتب سنة ١٣٣٢ هجرية (٢) البلاغ المصرى عدد ٥٥ فى ٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ (٣) المرجع السابق (٤) البلاغ المصرى فى مقال (أديب) وأصل ذلك فى صبح الأعشى ص ١٢ (٥) راجع شرح صاحبى الوسيط أذ بينا كيف ترجع لغات العالم ألى أمهات أصلية تولدت وتتولد

الأعشى ص ١٢ إنه لاتباين بين القولين لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى واستدل على صحة ذلك بأن بعض الآيات كان ينزل على نبي ثم ينزل على نبي آخر وبعض الآيات كان ينزل مرتين على نبي واحد

(٦) . وقال ابن إسحق والذى يقارب الحق وتكاد النفوس تقبله هو أن العربية لغة حمير وطسم وجديس وأرم وجويل وهم العرب العاربة أخوال ولد إسماعيل عليه السلام وذلك أنه عليه السلام لما نشأ فى الحرم وبلغ أشده تزوج منهم وتعلم كلامهم ولحق به أولاده فوضعوا الأسماء للمسميات بحسب حدوثها فاتسع الكلام وانفردت كل قبيلة بلغة مع الاشتراك فى الأصل » (١)

وأدلى كثير غير هؤلاء بآرائهم وهى كثيرة لا حصر لها . وليس من الميسور الرجوع إلى أى رأى من تلك الآراء أوانتى أوردناها — لاعلى سبيل الحصر ليكون هو المعتبر . ويكفى القول بأن الأراء تشعبت فى تلك المسألة تشعبا ماعهدناه فى أى مسألة أخرى خلافية

هذا هو الخلاف الذى دب فى أول من وضع الخطوط وقد قام خلاف آخر فى أول ماوضع منها ولكنا لانراه متشعبا تشعبه فى المسألة الأولى إذا استقر البحث إلى حصر الموضوع فى رأيين : —

أولهما : أدلى به الأفرنج وثانيهما : أدلى به رواة العرب

وكلاهما متفق على أن أول حلقة من سلسلة الخط العربى هى الخط المصرى القديم وأن الخط الفينيقى مشتق منه وأن هذا مشتق منه الخطان المسند والآرامى .

عنها وأن كل واحدة من هذه الأمهات هى المنشأ الأول لفروعها وأنها تنشأ من جدة عليا مجهولة هى لغة الأنسان الأول وهى الكلمات القليلة التى كان يعبر بها الأنسان عن رغائبه القليلة وبعضها مقتبس من محاكاة الأصوات وبعضها مرتجل بطبيعة القوة الناطقة التى أودعها الله الأنسان وميزه بها من سائر الحيوان . . . الى آخر البحث — هامش رقم ٤ ص ٣ و ٤ من كتاب الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه

(١) البلاغ المصرى عدد ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٨ هجرية

أما نقطة الخلاف فهى أن الأفرنج يفرعون الخطوط بعد ذلك من الآرامى ، ورواة العرب يفرعونها من المسند (١)

ولو لا ضيق المقام لذكرت شيئا كثيرا عن الخلاف القائم حول تلك النقطة ونختتم الكلمة بأن الخلاف الذى يقوم بين اللغات فى البداءة بالكتابة مرجعه اختلاف المقصد عند أهل كل لغة فالعرب كتبوا من اليمين إلى اليسار جريا على سير الفلك من المشرق إلى المغرب وكما قضت الطبيعة أن يزاول الأنسان عمله باليد اليمنى ، وقيل جريا على حركة الكبد إلى القلب . والذين كتبوا من اليسار جروا على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب إلى المشرق ، وقيل جريا على حركة القلب إلى الكبد (عكس الحالة الأولى) . والذين بدأوا من أعلى إلى أسفل (كالصين) قصدوا أن الله فى السماء وأن كل شىء يأتى من جهته سبحانه وتعالى (٢)

وإذا كانت الحروف العربية تسعة وعشرين حرفا فأن صورها - بصرف النظر عن النقط - ليست كذلك . بل هى تسع عشرة صورة فقط . وذلك لأن بعضها يشترك فى الصورة مع البعض فالباء مثلها التاء والثاء فى الصورة وكذا الجيم مثلها الحاء والخاء وهلم جرا

وذلك أولى من اعتبار كل حرف صورة . وهم يرجعون تلك الصور إلى خمس فقط وهى الألف والجيم والراء والنون والميم (٣)

وأرجو أن أوفق فى بحث آخر إلى تناول أثر الأسلام فى ارتقاء الخط العربى وانتشاره سواء أكان ذلك فى شبه جزيرة العرب أم فى غيرها والله يهدينا إلى ما فيه الصواب .

حسن عبد الجواد

---

(١) راجع ذلك فى الوسيط طبعة سنة ٩٢٧ ص ٣٤ و ٣٥ للأستاذين الفاضلين الشيخ أحمد الأسكندرى والشيخ مصطفى عنانى (٢) راجع انتشار الخط العربى للأستاذ الفاضل عبد الفتاح عبادة ص ٣٠ والمراجع التى أشار إليها فيه (الكتابة والكتب وصبح الأعشى ص ٢١ ج ٣) (٣) مرجعه صبح الأعشى ص ٢٤ — راجع بحثا شيقا للأستاذ بخيت صليبى فى مقتطف فبراير سنة ٩٢١ عن الحروف من حيث الصوت والحركات . . الخ الخ